أدب الطفل، وغرس القيم السياسية للجمهورية الجديدة، قصة (الشعب المحترم)، لسعدية العادلي نموذجًا

د. أميمة منير جادو

أستاذ باحث أكاديمي متفرغ

المقدمة

أطلق الرئيس عبد الفتاح السيسي مصطلح الجمهورية الجديدة مؤخرًا، مما تبادر إلى الأذهان أنه يقصد العاصمة الإدارية الجديدة، غير أن الأمر يتجاوز تطوير المباني والطرق وبناء الكباري وشق الأنفاق، إلى تنمية البشر وبناء الإنسان، فالجمهورية الجديدة هي دولة يتمتع فيها المواطن بكرامته، من حياة كريمة وسكن مناسب وصحة جيدة، وتعليم جيد، وأنشطة هادفة؛ لذا أطلق الرئيس العديد من المبادرات التي تمس حياة أهلنا في ربوع مصر.

والجمهورية الجديدة تعتمد عددًا من الأهداف تسعى لتحقيقها، منها: تحقيق المواطنة السليمة، وإرساء مبادئ وقيم الانتماء والمواطنة، والتسامح الديني وقبول الآخر، ونبذ العنصرية والتطرف، وغيرها.

"إن الجمهورية الجديدة جاءت لمواكبة تحديات العصر، ومواجهة حروب الجيل الرابع والخامس، وأخطر ما في هذه الحروب أن الدول تستخدمها لاحتلال العقول بدلًا من الأوطان، ثم تتحكم في هذه العقول بالطريقة التي تخدم مصالحها، وهو ما يتطلب استحداث مدن ذكية تتنبأ بهذه الحروب وتتحكم فيها، فالجمهورية الجديدة ليست رد فعل لأحداث تدور من حولها، وإنما هي من تصنع الأحداث وتكون فاعلًا أساسيًا فيها.

والجمهورية الجديدة تحتاج طريقة تفكير جديدة أيضًا، ليست نمطية كما كان في السابق، تحتاج عقولًا جديدة، وتحالفات استراتيجية جديدة مضادة لا تقوم على الأيديولوجيات والأفكار، وإنما على المصالح المشتركة التي لا يعرف العالم الآن لغة غيرها" (١).

وأكد سيادة الرئيس على "أهمية أدب الطفل في التوعية الهادفة للأجيال المستقبلية بشكل مبسط ومستساغ، بخصوص محاور الأمن القومي لمصر، وسبل تحقيق التنمية المستدامة، فضلًا عن إذكاء الحس الوطني لدى الأطفال" (٢).

ذلك لأن شعوب الوطن العربي بأطفالها وشبابها ونسائها تواجه تحديات شتى تزداد يومًا بعد يوم مع عصر الانفجار المعرفي والعولمة، ومحاولة القوى الكبرى المهيمنة فرض

سيطرتها دوليًا، ومحاولة تذويب الحدود والفواصل بين الشعوب على المستوى الثقافي وليس الجغرافي، بهدف قولبتها وعولمتها في قالب واحد يختلف أيديولوجيًا وثقافيًا وجذريًا عن الأيديولوجية العربية بكل خصائصها، وصارت الحداثة تتحدى الأصالة، حتى باتت الأخيرة في مأزق لم يعد بخاف على أحد.

ولعل الإرهاب العالمي الذي يمد أصابعه نحونا دومًا لإثارة الفتن وزعزعة أمن البلاد لفقد الثقة بين الشعوب وحكوماتها ليس بخاف على أحد. وكلما زادت التحديات بات لزامًا على الشعوب العربية مواجهتها والتصدي لها بالتوعية، وتربية النشء التربية الأصيلة، وتنشئته التنشئة القوية السليمة التي تعينه على مواجهة تلك التحديات مستقبليًا، فما المجتمعات القوية إلا حصيلة بِناء أطفالها وإعدادهم الإعداد الجيد السليم، وتربيتهم وفقًا لأيديولوجية عربية ذات سمات معروفة، ومعايير دينية وعقدية تحتكم إليها، وهو ما تسعى إليه الجمهورية الجديدة عبر التناول الذكي في التربية الحديثة، وفي المناهج التربوية الجديدة.

والتربية السليمة المتكاملة والمتوازنة للأطفال لا تعني بجانب واحد على حساب جانب آخر، فهي جسدية ووجدانية، روحية وعقلية، معرفية واجتماعية وأخلاقية معًا، وفي كل المراحل تنمو تدريجيًا بحسب متطلبات كل مرحلة بما لا يطغى جانب على جانب آخر، فإذا كان الجسد ينمو بالطعام والشراب مثلًا فإن الوجدان ينمو بالحب والحنان والموسيقى، وتنمية الأخلاق وإشباع الروح، والعقل ينمو بالقراءة والمعرفة، والسلوك الاجتماعي يُكتسب من قيم ومعايير كل أسرة وتتسق وتستمد من معايير وقيم المجتمع وهكذا.

ولا تنفصل التربية أو التنشئة السياسية عما سبق، ولا تكون بمعزل عنها، فهي جزء لا يتجزأ منها، ومكون أساس من مكونات وجوانب التربية والتنشئة السليمة، يكتسبها الطفل منذ علاقته الأولى بالأم والأسرة، حيث إن أسلوب تعاملهم معه يعد جزءًا من هذه التنشئة السياسية في أولى مراحلها.

فالطفل الذي يشاهد أباه يتابع باستمرار الأخبار أو يقرأ الصحف أو يتحدث بحب عن البلد والوطن، غير ذاك الطفل الذي يسمع أباه مثلًا، دومًا يفكر في السفر والرحيل عنه،

وهو غير ذاك الطفل الذي يشاهد أباه يقلب الفضائيات على قنوات اللهو والمجون والخلاعة، وهكذا.

والطفل الذي يتربى على حرية الرأي وديمقراطية التعامل في البيت، والحب والمساواة والعدل بينه وبين إخوته غير الطفل الذي يتربى على القهر والعنف والاستجداء، والخضوع والظلم بين إخوته، وكلها تعكس مظاهر أولية للتنشئة السياسية، وكيف يشعر بها الطفل، وكيف تسهم في تكوين شخصيته؟.

إن هذه الأساليب المتبعة مع الطفل تشكل اللبنات الأولى للتنشئة السياسية للأطفال، ضمن إطار التربية الاجتماعية والنفسية والدينية والعقلية والجسدية، وهكذا.

ويُعتبر أدب الأطفال عمومًا، والقصص خاصة- اتساقًا مع دراستنا الحالية- أحد أساليب التربية كما نعلم عن التربية بالقص وبالحكاية الشعبية، والتربية بالغناء والأناشيد والمسرح، وغيرها.

ويندرج أدب الأطفال ضمن وسائل الإعلام التي يتعرض لها الطفل وتساعد على تربيته كمؤسسة غير مقصودة، مثله مثل الأسرة والمسجد والكنيسة والنادي ورفاق اللعب، ومتوازية مع التربية المقصودة في المدرسة.

وبالتالي فهو يجب أن يتضمن ضمن أهدافه التربوية، التربية والتنشئة السياسية للنشء منذ الطفولة المبكرة، بحسب ما يستوعبه في كل مرحلة، ووفقًا لأهداف الجمهورية الجديدة ومتطلبات المرحلة المقبلة.

وعلى سبيل المثال: ففي القصة العالمية الشهيرة لأطفال الحضانة حول البطة القبيحة أو البطة السوداء يعرف ويتعلم قيم نبذ العنصرية، والمساواة، وهي قيم تنتمي لمضامين التنشئة السياسية.

الدراسة التحليلية (دراسة حالة)

تم اختيار قصة عن طريق العينة العمدية التي تحقق الشروط المنهجية للدراسة، وهي قصة (الشعب المحترم)، للكاتبة سعدية العادلي نموذجًا- ضمن سلسلة المحترمين، ٢٠١٧.

القراءة الأولى لقصة (الشعب المحترم)، القراءة الاستطلاعية

وتعكس قصة (الشعب المحترم) عبر قراءتنا الأولى لها مجموعة كبيرة من قيم التنشئة السياسية خاصة، وتسهم في تنمية الوعي السياسي والاجتماعي، وتبث قيمًا خاصة بالمواطنة والتسامح الديني وقبول الآخر، ونبذ العنف والإرهاب، ودعم وحدة الوطن، وهي بحق تمثل صرخة في وجه من يزعمون ويروجون للفتنة الطائفية في مصر.

هذه القصة تعتبر إضافة حقيقية لمكتبة الطفل والطلائع؛ لما تنطوي عليه من مضمون معاصر يعكس أحداث ثورة يناير ٢٠١١، وتعبر عن تلاحم الشعب المصري بكافة أطيافه من مسلمين وأقباط.

وتزخر القصة بالكثير من المضامين التربوية المتنوعة، ولا سيما الوطنية والسياسية، مثل: التشاركية الاجتماعية، والثورة على الظلم، ونبذ العنف والإرهاب والعنصرية والطائفية الدينية، وقيم المواطنة، والسلام والانتماء والتسامح الديني، وقبول الآخر، وغيرها، سوف ندلل عليها ونوضحها في الدراسة التحليلية الخاصة بها مستشهدين بالنصوص السردية للكاتبة نفسها.

ونظرًا لما تطرحه القصة من هذا الزخم التربوي القيمي الدلالي، وقبل الولوج إلى التحليل المضموني النقدي لها وجب علينا منهجيًا التعريف ببعض المفاهيم والمصطلحات والمحاور التي دعت الضرورة البحثية والمنهجية لعنونتها بها، حول ما يتعلق بالتنشئة/ التربية السياسية للأطفال.

تعريف المفاهيم والمصطلحات، وما يتعلق بها

ترتبط بداية فكرة التنشئة السياسية بفكرة الثقافة السياسية، والتي يمكن تعريفها بأنها: "المبادئ والقناعات والمعتقدات والقيم التي تحدد الاتجاهات السائدة للشعوب نحو نظمها السياسية، وعلاقة الأفراد بالدولة والسلطة، وتبين حقوقهم وواجباتهم. كما أنها متغيرة وتختلف من فردٍ لآخر باختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي والثقافي" (٣).

التنشئة السياسية

التنشئة بشكل عام: هي عملية تفاعلية يتم خلالها اكتساب قيم وثقافة المجتمع، وهي تدريجية ومستمدة من التجارب والخبرات التي تحدث في مرحلة الطفولة، وهي مستمرة، فلا تتوقف عند عمرٍ معين، وتنتقل من جيل لآخر، ومعها تتشكل شخصية الفرد، ويكتسب لغته وسلوكه.

وعليه يمكن تعريف التنشئة السياسية بأنها عملية اكتساب المعارف والمهارات اللازمة لاستيعاب واقع المجتمع وأهدافه وقيمه، وتعزيز روح الانتماء والولاء للوطن والقيادة، والإحساس بالمسئولية الاجتماعية تجاه المجتمع وقضاياه، وتعريف الطفل بحقوقه وواجباته، وطبيعة علاقته بمؤسسات الدولة وأفراد المجتمع، لدمجه في المجتمع بشكل يضمن مشاركته في بناء مستقبل وطنه.

أهداف التنشئة السياسية في ضوء أهداف الجمهورية الجديدة

تهدف التنشئة السياسية لمشاركة المواطنين بإيجابية في بناء مجتمعهم، ومواجهة المخاطر والتحديات التي تهدده خارجيًا وداخليًا، وتوفير الاستقرار لنظامهم السياسي، بالإضافة إلى الحفاظ على هوية وحضارة وثقافة الدولة وتركيبتها الاجتماعية.

عناصر التنشئة السياسية

تضمن عناصر التنشئة السياسية تكوين ونقل الثقافة السياسية عبر الأجيال، أو تغيير الثقافات السائدة، **وهي تشمل:**

١. غرس المعتقدات والميول السياسية في مرحلة الطفولة المبكرة، كإطارٍ فكري ومرجعٍ أساسي يحدد الأهداف.
٢. إكساب الشعور بالانتماء للجماعة، وأهمية العمل المشترك، والإحساس بالمسؤولية الاجتماعية، وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الشخصية.
٣. تعليم مفاهيم الولاء للنظام السياسي، واحترام سيادة القانون والرموز السياسية، مثل: أرض الدولة، وعلمها، والنشيد الوطني، ورئيس الدولة والحكومة.
٤. تعميق الحس بالهوية القومية، ومفاهيم الحرية والعدل والمساواة، والواجب الوطني.

أهمية التنشئة السياسية للأطفال في ظل الجمهورية الجديدة:

١. تدعيم حرية الفكر والتعبير، وتقبل الرأي الآخر؛ لخلق قيمٍ وسلوكياتٍ وعاداتٍ إيجابية.
٢. تحقيق التماسك والانسجام بين أفراد المجتمع؛ لتعزيز وحدته وحريته وأمنه واستقراره.
٣. خلق ونشر ثقافة سياسية عامة؛ لتعميق قيم المشاركة والتعاون، وتأييد ودعم النظام السياسي.
٤. تعزيز التفاهم بين أبناء الفئات الاجتماعية المختلفة، وغرس مشاعر الإحساس بالوطنية والانتماء فيهم.
٥. كما أن غيابها يقع في مقدمة الأسباب المؤدية لنشأة وظهور تيارات التطرف بأشكالها المتعددة.

وسائل التنشئة السياسية في ضوء مبادئ الجمهورية الجديدة

يؤثر احتكاك الطفل بالعالم المحيط به في تركيبته النفسية والفكرية، ويؤثر على قراراته ورؤيته لواقعه لاحقًا كما يلي:

١. تُعد الأسرة المصدر الرئيس لبناء شخصية الطفل، فمن خلال طبيعة العلاقة بين أفراد الأسرة وطريقة ممارسة الأب لسلطته في المنزل، ومدى احترامه وتقديره لأفكار وأراء أفراد الأسرة يتعلم الطفل القيم الأخلاقية، وواجباته وحقوقه، واحترام السلطة، ومفاهيم الحوار، والمشاركة الإيجابية في صنع القرار، كما يتأثر الطفل باهتمامات الآباء وآرائهم وميولهم السياسية، والتي تحدد طبيعة مشاركته في الحياة السياسية؛ لأن علاقة الطفل بأسرته تسهم في تكوين الجانب الأكبر من شخصيته؛ لطول المدة الزمنية للتواصل بينهم، والارتباط العاطفي الدائم الذي يجمع بينهم.
٢. وتؤدي المدرسة دورًا كبيرًا كشريكٍ أساس للأسرة في تشكيل وصقل شخصية الطفل، وطريقة تفاعله مع العالم من حوله خلال مراحل دراسته المختلفة كمؤسسة تربوية، عن طريق غرس المبادئ السلوكية والحس بالاستقلال والانتماء لمجموعة تتبع قواعد وقوانين مشتركة، إضافةً إلى دورها الأساس كمؤسسةٍ تعليمية، من خلال تدريس مواد التربية الوطنية والتاريخ والجغرافيا التي تعرف الطفل بدولته وتاريخها وحدودها، مما يزرع في نفسه مشاعر الحب والولاء ويعمق إحساسه بالفخر لهويته الوطنية،

ويضمن تحقيق رؤية القيادة على أساس من المبادئ والقيم والاتجاهات والأفكار الوطنية المشتركة.

٣. كما يتأثر الطفل بأصدقائه وزملائه الذين يتقارب معهم في الأعمار والهوايات والسلوك.

٤. إن المؤسسات الدينية المتمثلة في المساجد ومراكز تحفيظ القرآن– نظرًا لما تتميز به من مكانةٍ وقوة تأثير– تلعب دورًا كبيرًا في عملية التنشئة السليمة للفرد وضبط أخلاقه وسلوكه؛ مما يؤدي للتقريب بين مختلف فئات المجتمع وتوحيدها.

٥. وتعد وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي من أقوى الوسائل تأثيرًا في تشكيل شخصية الطفل وترسيخ قيمه وثقافته؛ لتنوعها وسهولة الوصول إليها، وقد تكون مؤذيةً بشكلٍ مباشر أو غير مباشر للأطفال لما تقدمه من رسائل قد تعارض المعايير والقيم الأخلاقية والمفاهيم السائدة في المجتمع، أو تحث على العنف والعدوانية وعدم احترام الرأي الآخر.

ويندرج أدب الأطفال ضمن المنظومة الإعلامية، بيد أنه ينطوي دومًا على أهداف تربوية وقيم خاصة يبثها عمديًا، كما ذكرنا في أهداف وأهمية أدب الأطفال.

وتشتمل التربية السياسية على بث قيم بعينها، مثل: الولاء والانتماء للوطن، وهو ما اصطلح على تسميته مؤخرًا بـ (المواطنة)، بما تشتمل عليه من حب الوطن، والتضحية في سبيله والذود عنه ضد الأعداء... إلخ.

فـ "الوطن هنا ليس مكانًا فقط، بل هو مستودع الماضي، وإرث الأجداد، ومسرح المستقبل الواعد، ولا شك في أنّ الذود عن الأرض هو جزء لا يتجزأ من الجهاد في سبيل الله، لذلك كان لا بد لكل قصة وطنية أن تتضمن هذه المعاني وأن تحث على بنائه، والدفاع عنه بطريقة تستثير المشاعر الدافئة والعفوية عند الطفل، والتي تشبه إلى حد كبير مشاعره تجاه أمه وتعلقه بها" (٤).

كما تتضمن التنشئة السياسية قيمًا أخرى، مثل: الحرية، والديمقراطية، والعدالة، والمساواة، والثورة على الظلم، والكفاح والتضحية، ونبذ العنصرية بكل أنواعها الدينية والعرقية، وقد تعرف بالتسامح الديني، والتعايش السلمي المستمد من قيمة السلام، وثقافة السلام، وقبول الآخر، واحترام ولاة الأمر، وغيرها.

ولأن المواطنة والانتماء من القيم السياسية والاجتماعية والتربوية التي ينبغي أن يعيها كل مواطن بحقوقها وواجباتها كان لا بد أن يقوم أدب الأطفال (قصًا وشعرًا وغناء ومسرحًا... إلخ) بدوره، تضامنًا مع دور كافة مؤسسات التنشئة والتربية الأخرى، مثل: الأسرة، والمدرسة، والإعلام، والمسجد، والكنيسة، والنادي، وغيرها.

"والتربية على المواطنة تعد في كثير من المجتمعات هدفًا تربويًا أساسيًا، وتبدأ التربية على المواطنة في كافة ألمجتمعات مع مرحلة الطفولة؛ لأن الأطفال هم شباب المستقبل وأمله، فإن التربية الوطنية لها أهمية كبيرة، حيث يشكل الأطفال جزءًا لا يستهان به من المجتمع، ويتعرضون بذلك لكافة الخبرات الاجتماعية والسياسية التي يمر بها مجتمعهم، ويكتسبون الاتجاهات والقيم السياسة التي يتأثر بها سلوكهم بالمستقبل" (٥) .

"وتنطوي تنمية المواطنة على بعدين أساسيين، هما: البعد الاجتماعي الذي يهتم بالتفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، والبعد السياسي الذي يهتم بتفاعل الأفراد مع الدولة ومؤسساتها المختلفة" (٦).

المواطنة كما عرفتها لطيفة الكندري(٧)

بـ"الجانب السلوكي الظاهر لمشاعر الفرد بحبه لوطنه، والمتمثل في الممارسات الحية التي تعكس حقوق الفرد وواجباته تجاه مجتمعه ووطنه، والتزامه بمبادئ المجتمع وقيمه وقوانينه، والمشاركة الفعّالة في الأنشطة والأعمال التي تهدف إلى رقي الوطن والمحافظة على مكتسباته".

المواطنة والمجتمع

إنّ استمرارية المجتمع ونهضته مرهونة بمدى نجاح البناء الاجتماعي الذي يعتني بالفرد ويرفع من مستواه وكفاءته، وذلك انطلاقًا من مسلّمة أساسية مفادها أنّ الفرد هو اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، وكلما كانت اللبنة قوية كان البناء قويًا في مضمونه وشكله وحاضره ومستقبله، فلا تتحقق المواطنة والولاء للوطن إلّا باحترام الدستور وقوانين البلاد، وممارسة أدب الحوار الديمقراطي الواعي، وتأصيل العمل وتنمية إحساس الفرد بمسؤولياته، فكلّ فرد منا سواء كان رجلًا أو امرأة، شابًا أو كبيرًا في السن، له دور في بناء المجتمع كلّ في مجاله.

ميادين تعزيز المواطنة:

١. الأسرة

تعتبر الأُسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تغرس الروح الوطنية وحب الوطن في نفوس الناشئة، من خلال تنمية شعور الطفل بشخصيته، وتعويده على تحمل المسؤولية، وترسيخ القيم الإنسانية والأخلاقية، مثل: الصدق، وآداب الحديث، والعمل والاجتهاد، والمحافظة على الوقت، واحترام النظام العام، ومساعدة الآخرين.

٢. المدرسة

تبني المدرسة وتنمي مشاعر الولاء والانتماء لدى الأبناء تجاه المجتمع، من أجل الحفاظ على وحدة الوطن وثرواته، فالمناهج الدراسية وطريقة التعليم والتقييم من ركائز التربية الأساسية القادرة على تعبئة المتعلمين على حب الأرض التي يعيشون فيها وينتمون إليها؛ ليكون لهم دور فاعل في بناء الوطن، ويكمن دور المدرسة في تفعيل دور الناشئة، وحثهم على تطبيق معاني الوطنية، من خلال تزويدهم بالمهارات القيادية اللازمة؛ كي يمارسوا دورهم في إبراز احتياجاتهم، والتعبير السليم عن تطلعاتهم، فالمواطنة تشمل النجاح في المدرسة، والمشاركة في بناء المجتمع من خلال الأعمال التطوعية وممارسة الهوايات المفيدة.

٣. الإعلام

وسائل الإعلام المختلفة هي إحدى أهم القنوات التي يستقي منها الأفراد خبراتهم وقيمهم المعرفية، من خلال البرامج الحوارية والوثائقية، والمسلسلات الهادفة التي تقدمها، حيث باتت تحتل المراتب الأولى بين المجالات الأُخرى المؤثرة في تنشئة الأجيال.

٤. المساجد

تقوم المساجد بدور عظيم في بناء المجتمعات الإسلامية، من خلال نشر الفكر الوسطي السمح، ونشر ثقافة التسامح والمودة والرحمة، وقبول الاختلاف، وتعميق الصلات الاجتماعية، والفهم الصحيح للدين الذي يقيهم شر الانحراف والغلو والتطرف والفتن.

فالابن الذي يتعلّم النظام والتعاون، وسائر القيم النبيلة لا شكّ أنّه بصورة عفوية وبلا أدنى مشقة سيترجم ذلك السلوك المنضبط في شخصيته عندما يكبر، فيمارس دوره كمواطن يحترم قوانين البلاد، ويبذل جهده في الذود عن البلد ومصالحه" [٨].

خطوات عملية نحو تعزيز المواطنة في الجمهورية الجديدة:

- تقبل الاختلافات الشخصية التي لا تخل بالتزامات المجتمع.
- العمل الجماعي والمشاركة التطوعية في المجتمع والتعاون لحل المشكلات.
- احترام الاختلافات المتعلقة بالعرق والثقافة.
- حماية البيئة والمحافظة على الممتلكات العامة.
- العناية بذوي الاحتياجات الخاصة، وتشجيعهم على العمل المنتج، وتحقيق الذات، والنظر إليهم بكلّ تقدير لدورهم الحيوي في المجتمع.
- غرس الفضائل، مثل: الشجاعة، والتضحية، والتسامح، واحترام الرأي والرأي الآخر.
- استثمار التراث الوطني، والأمثال والقصص التي تبني الأخلاق والأدب الرفيع.
- احترام القانون، وإشاعة العدل والتكافل الاجتماعي ونبذ الإشاعات.
- الالتزام بالأخلاق الحسنة، والتأكيد على أهميتها في المجتمع.
- احترام كلّ المهن والحرف، ورسم الابتسامة على وجهك مع كلّ مَن تتعامل معه مهما كان عمله أو منزلته.
- استذكار سير الأنبياء، وتطبيق مبادئ الأديان السماوية.
- عدم القبول بالظلم، أو السكوت عنه، أو التستر عليه.
- رصد الإيجابيات، وعدم تصيد الأخطاء، والثقة بقدرات وطاقات الفرد في خدمة مجتمعه.

عقبات في طريق المواطنة

إنّ غياب أو ضعف التكاتف والتعاطف والتكافل دليل انحسار الحس الوطني، ومن أهم العقبات التي تعترض طريق المواطنة الصالحة، وتهدد سلامة الوطن، ما يلي:

١. انتشار الرشوة والروح الاتكالية.
٢. إتلاف مرافق الدولة.
٣. الفساد الإداري، والتسيب في العمل وتدني مستوى الإنجاز.
٤. التعصب القبلي والطائفي، والغلو الديني.
٥. العنف وتجاوز القانون.

٦. تغليب المنفعة الشخصية على المصلحة العامّة، وغياب المبادئ الأخلاقية.
٧. تهميش دور المرأة، والنظرة الاستعلائية تجاه الوافدين وبعض أصحاب المهن.
٨. تشويه سمعة الطرف المخالف للرأي، ونعته بأوصاف غير صحيحة.

وأخيرًا فإن المواطنة بلا قيم باعثة على العمل، وبلا ولاء يصدقه الفعل كلمة جوفاء خادعة ومزيفة، فليست الوطنية شعارًا نرفعه دون تطبيق، ولا قماشًا نحييه في الصباح الباكر من دون وفاء، بل مشاعر صادقة تستلزم ممارسات في غاية النبل" (٩).

التسامح الديني ونبذ التعصب والطائفية وقبول الآخر

يشير (سعادة خليل) في بحثه إلى:

"أن تنشئة الطفل وتربيته على الاعتزاز بالهوية وعلى الشعور بالانتماء الحضاري والإنساني، مع التشبع بثقافة التآخي والتسامح واحترام وحب الآخرين، والانفتاح على المجتمعات الأخرى، ونبذ التعصب بجميع أشكاله الدينية والمذهبية والطائفية والعرقية هي مسئولية الحاضنة الأولى للطفل أي الأسرة، ومن ثم المدرسة والمجتمع بصورة عامة" (١٠).

ويشمل الإعلام، والأخير بدوره ينطوي على أدب الأطفال، ومنه القصص والمسرحيات موضوع دراستنا الحالية.

التحليل المضموني النقدي لقصة (الشعب المحترم)، لسعدية العادلي نموذجًا(١١)

الشكل الفني

تقع القصة في (٣٢) صفحة، بخلاف الغلافين الأول والأخير، من القطع المربع الوسط المصقول، وصورة الغلاف متصلة بينهما بمنظر واحد وبالداخل (١٤) لوحة ملونة بعضها يتخلل السرد، والكتابة بالأسود الكبير على أرضية الورقة البيضاء، فجاءت واضحة وبعض الكلمات مُشَكَّلة، وهي تخاطب مرحلة الطفولة المتأخرة من (١٢-١٦) سنة والطلائع.

فكرة وملخص القصة

تدور أحداث القصة حول فكرة تآخي المسلمين والأقباط والتعايش السلمي بينهما، والوحدة الوطنية، في مواجهة الإرهاب والاعتداءات على الوطن الحبيب مصر، وثورة الشعب

٢٥ يناير للتغيير للأفضل في مواجهة الظلم، واستشهاد البعض الذين راحوا ضحايا دفاعًا عن الوطن.

وتحكي القصة بتسلسل واضح مترابط ومتنامٍ تاريخيًا عبر السرد بعض الأحداث، كما سنوضح عند التحليل المضموني، وتدور الأحداث عبر بطلتين: إحداهما مسيحية قبطية والأخرى مسلمة، وكل منهما اسمها مريم (مريم وهيب، ومريم محمد) وللأسماء دلالتها الرمزية الواضحة أيضًا. تبدأ القصة بمريم القبطية فنتعرف عليها في مدرسة إعدادي بالإسكندرية تحيي العلم، وتعيش مع أسرتها، لكنها تضطر إلى أن تغادر الإسكندرية بعد مقتل أبيها في حادثة مثيرة للجدل تتعلق بتفجير كنيسة القديسين ليلة رأس السنة الميلادية في يناير ٢٠١١، وتعود للقاهرة يتيمة حزينة مع أمها الأرملة العطوف. لتعيش في كنف جدها وجدتها وتلتحق بمدرسة بشبرا، فتتعرف على زميلة بنفس الصف اسمها مريم محمد مسلمة، وتتصادقان بسرعة فتأكلان معًا وتلعبان وتستذكران، وتتشاركان بالمواقف الحياتية الاجتماعية في الفرح والحزن معًا بحب وصدق، فتنمو صداقتهما.

حتى تندلع ثورة ٢٥ يناير ويهب الشعب كله معًا مطالبًا بالتغيير، ثورة على الظلم والفساد، وفي ميدان التحرير يجتمع الشعب كله، رجال ونساء، شباب وأطفال، مسلمون ومسيحيون يرفعون علم بلادهم، ويهتفون منددين مطالبين بالتغيير، وقد استشهد الكثير من أبناء الوطن، وراح ضحيتها أخو مريم محمد من ضمن القتلى. وتعرض القصة لتفجير كنيسة إمبابة أيضًا، ثم تجديدها، وتستمر المريمتان في الدراسة بحب وفخر بانتمائهما لهذا الوطن مصر، وتختم القصة بنشيد وطني بسيط وجميل. وتزخر القصة بالكثير من صور المواطنة وقيم التنشئة السياسية، كما سنوضح بالتحليل المضموني الكامل للقصة كما يلي.

أهداف القصة

تهدف القصة إلى معالجة التمييز العنصري الديني، فلا فرق بين مسلم ومسيحي، بل الكل شركاء في الوطن، والكل شركاء في الإنسانية، وكأنها تؤكد مقولة (الدين لله والوطن للجميع)، ولعلها تنطلق من احترام الرسول (ص) لأهل الذمة، ومراعاة حقوقهم، والمعايشة السلمية بين الجميع، واحترام حرية الأديان، ونبذ العنصرية الدينية، وتتحقق هذه الأهداف من خلال بث مجموعة من القيم السياسية تتعلق بالتعايش السلمي مع الآخر، وقبول الآخر

المختلف في الدين، وهو ما يعرف بالتسامح الديني، وعدم التمييز العنصري، والديمقراطية والحرية، والانتماء والمواطنة، وحب الوطن، والمساواة والكفاح، والمقاومة ضد الظلم والفساد، ونبذ الإرهاب، والمسئولية الاجتماعية، وغيرها.

عتبات النص

الغلافان: يبدو الغلاف الأول والأخير معًا كأنهما لوحة واحدة لمنظر واحد غير منفصل، فعلى الغلاف الأول تبدو طفلتان بالزي المدرسي الأزرق (المريلة) تحتها القميص الأبيض بكم، تدلان على المريمتين، وقد فتحت كل منهما يديها مستقيمة على مصراعيها، رفعت كل منهما إحدى يديها في مواجهة الأخرى، وقد أحنت كل منهما جذعها بفرحة، تقدم قدمًا وتؤخر أخرى بانحناءة التحية والفرحة، وقد وقفا بميدان يشير لميدان التحرير حيث ينتصب المُجَمَّعُ الشهير خلفهما، وتمثال يبدو لأحمد عرابي زعيم الحرية وزعيم ثورة الفلاحين الشهيرة، وتبدو الساحة واسعة والأشجار بالميدان، وتمتد لوحة الميدان لتشمل الغلاف الأخير، حيث تبدو السماء زرقاء صافية تنتشر بها بعض السحب البيضاء الجميلة والأشجار الخضراء الباسقة، والجو صحو، وخلفها تبدو العمائر في منظر بديع.

ثم في العتبة الثانية (غلاف داخلي)

قبل السرد نشاهد لوحة ملونة أيضًا، صورة لثلاث بنات تحيين العلم المدرسي وسط فناء، ويرفرف العلم المصري فوقهم بألوانه الثلاثة: الأسود، والأبيض، والأحمر، وقد رسم شعار الدولة (النسر بالأصفر)، لكن يلاحظ في اللوحة أن من تُحيي العلم وترفع يدها اليمنى بمحاذاة رأسها في أداء التحية الوطنية المعروفة هي البنت الوسطى التي تتقدمهمن، والتي سنعرف من القصة فيما بعد أنها مريم وهيب (الطالبة المسيحية)، ولم يرسم البنتين: (منى)، و(جودي) ترفعان أيديهما مثلها، وهذا هو المفروض في تحية العلم، الكل يرفع يده لجانب جبهته معبرًا عن احترامه للعلم الوطني رمز بلاده. ولست أدري هل فات على الفنان ذلك أم ماذا؟ ونعفو الكاتبة من هذا الخطأ الفني فهي لم تذكره بالقصة ولا شرحته بالسرد، بل أشارت فقط إلى وقوف البنتين: منى، وجودي خلف مريم فقط، وليس من الضروري أن تزيد وتعيد في الشرح، ولكنه مشهد بَدَهي ومعروف، كان يجب على الفنان أن يفهمه ويعكسه على الرسم.

ومن المفترض أن تكون اللوحة أكثر دلالة، فيبدو جزء من المبنى المدرسي والطابور وبعض المدرسين؛ لنقل المشهد الواقعي بتقريب وحيوية أكثر حتى نكاد نسمع موسيقى بلادي من الصورة الناطقة بالحشد الطلابي والعلم في فناء المدرسة، لكن أحسب أن اللوحة بها قصور فني، ولعل الفنان استسهل فرسم البنات الثلاث والعلم فوقهن مكتفيًا بذلك، رغم وضوح السرد.

العتبة الثالثة

هي مقدمة الكاتبة التي أشرنا إليها قبلًا، وهي واحدة في كل كتب سلسلة المحترمين تتساءل فيها عمن نطلق عليه لقب (محترم)؟، وما صفات المحترم لينال هذا الاسم؟ وتتمنى للجيل كله أن يكون جيلًا من المحترمين.

التحليل المضموني السردي

تحفل القصة بالعديد من القيم والمضامين المتنوعة، وأغلبها تلك التي تؤكد على التنشئة السياسية والولاء للوطن، مثل:

- **الانتماء الوطني والمواطنة:** وتدل عليها الكثير من العبارات الدالة، ولا فرق بين مسلم وقبطي في هذه المشاعر ولا ممارسة قيمها الدالة عليها، وتتكرر بالنص في مواضع متفرقة، **على سبيل المثال نذكر:**

"مريم وهيب ... تردد تحية العلم في فناء المدرسة كل صباح"، "جودي تردد تحية العلم ثلاث مرات: تحيا جمهورية مصر العربية، وجميع التلميذات والمعلمات يرددن بحماس في صوت واحد: تحيا جمهورية مصر العربية، أثناء تحية العلم يملؤهما الفخر والاعتزاز بحب الوطن" ص ٦.

ويأتي تقديس العلم الوطني للبلاد وتحيته كـ (رمز سياسي وطني) في إطار الممارسة الوطنية، وتعبيرًا عن الانتماء والمواطنة، وفي موضعٍ تالٍ في أثناء ثورة يناير تقول: "....وأعطاهما علمًا كبيرًا، ورفعت مريم محمد بيديها أحد طرفي علم مصر، ورفعت مريم وهيب الطرف الآخر" ص ١٨، وبالعبارة السابقة نلمح أيضًا التسامح الديني السياسي عبر المواطنة والانتماء لوطن واحد هو مصر بأقباطها ومسلميها معًا.

وفي نفس المعنى نقرأ عبر السرد تشجيع الشباب للأطفال، ودعم روح المواطنة لديهم، فعن الثائر خالد نقرأ: "فأعطاهما العلم، وصعد بهما إلى مكانٍ عالٍ بعض الشيء قائلًا لهما: ابقيا هنا في هذا المكان ليظهر علم مصر واضحًا، ويظل عاليًا إن شاء الله" ص٢٠، ورغم إصابة خالد الشاب المواطن البطل الثائر في الميدان إلا أن هذا لم يقلل من روح البطولة والمثابرة وتقديس الرمز الوطني في مشاعر البنتين، فنقرأ: "بكت الصديقتان بكاءً شديدًا، لكنهما استمرتا ترفعان العلم"، "وازداد الثوار تصميمًا على مطالبهم، وأخذ حق هؤلاء الشباب القتلى والجرحى" ص٢٠.

- "التضحية بالروح من أجل الوطن، قيمة الاستشهاد في سبيل الوطن"، وانعكاساتها على الشعب: "فقدت مصر الكثير من رجالها وشبابها، تيتم الأطفال، وترملت النساء" ص ١٠.

- "لم يكد خالد يكمل كلامه حتى أصابته رصاصتان إحداهما في رأسه، والثانية في صدره، وانهال الرصاص على شباب مصر، وسقط الكثيرون منهم موتى وجرحى" ص ٢٠.

- الدور الوطني للشباب، أو تأكيد دور الشباب في الثورة: وعن مساهمة الشباب وتأكيد دوره في الثورة تتحدث الكاتبة عن خالد (أخو مريم محمد) كنموذج للشاب المسلم الوطني الثائر الحر، فتقول: "خالد... الذي لم يترك ميدان التحرير منذ خروج اليوم الأول للثوار "ص١٨، "رحب بهما وأعطاهما علمًا كبيرًا" ص١٨، المقصود في العبارة السابقة أخته وصديقتها القبطية.

- "عادت المريمتان إلى منزليهما يملؤهما الإحساس بالفخر لمشاركتهما الثوار في ميدان التحرير " ص١٩.

- مساندة الأطفال لشباب الثوار في الميدان: "..أخذت المريمتان الساندوتشات وبعض زجاجات المياه المثلجة لتوزيعها على خالد والثوار" ص ٢٠.

- تجليات الثورة: ورد بالسرد كيف تكون الثورات سببًا للتثقيف السياسي وإثارة الوعي لدى الناشئة، فتقول: "وعادت الصديقتان إلى المدرسة وإلى حياتهما التي اعتادتا عليها بشيء واحد جد عليهما: هو حرصهما على سماع ورؤية نشرة الأخبار، وهو ما حرص عليه جميع المصريين منذ ثورة الخامس والعشرين لمتابعة إنجازات الثورة " ص ٢٣.

دور المدرسة في التربية والتنشئة السياسية للأطفال

أبرزت القصة كيف تساهم المدرسة في تربية الأطفال سياسًيا- اتساقًا مع الإطار النظري السابق الإشارة إليه- وحول دور المعلم الذكي في ذلك نقرأ: "دخلت المعلمة وألقت التحية، وبسرعة كتبت على السبورة عنوانًا كبيًرا وضعت تحته خطوطًا كثيرة لأهميته، وهذا العنوان هو (الوطن)، ثم كتبت سؤالًا واحدًا في السطر التالي: ماهو الوطن؟، وطلبت من التلميذات أن يكتبن الإجابات، ..... ، ولتقرأها التلميذات بصوتٍ عالٍ، كانت:

ج١. وطني هو أرضي وسمائي وخيري وعطائي وحبي وبقائي.

ج٢- وطني هو لغتي التي بها أعبر، وقلبي الذي به أعيش، وعقلي الذي به أفكر.

ج٣- مريم محمد: وطني هو الأمان، وموت أخي لم يكن في الحسبان.

ج٤- مريم وهيب: وطني هو أملي وألمي الذي أشكوه لأمي ص ٢٨ و ٢٩.

بث قيم الوحدة الوطنية للشعب كله:

"قالت المعلمة: مصر أنا وانتم، مصر مريم محمد ومريم وهيب، وكل أبناء مصر الذين وقفوا وهتفوا (يدًا واحدة) في ميدان التحرير، أبناء مصر عم عبد الكريم والعم بطرس، أبناء مصر الحاجة فاطمة وطنط ماري، وأبناء مصر الخالدين خالد وبيتر" ص ٣٠.

دور المدرسة/ المعلمة في بث قيم وثقافة التنوع بين الشعب، وتقبل الآخر:

- يبدو دور المعلمة واضحًا هادفًا مقصودًا وذكيًا في بث قيم وثقافة التنوع وقبول الآخر، فتقدمها لتلميذاتها بشكل مبسط جميل يمكنهن استيعابه، تقول: "يا بناتي، الأسرة الواحدة لو كثر عددها سيظهر الاختلاف بين أفرادها: الكريم والبخيل، الهادئ والمتهور، الطيب والعنيد منهم من يحرص على أمه ورضاها عنه ومنهم من يخرج عن طاعتها، فما بالك بمصر الوطن الكبير ذي الأمجاد والحضارات؟ هل من الغريب أن يكون هناك من يؤرق شعبها ويهدد أمنها؟ كلنا أبناء مصر منا من أخطأ ومنا من أصاب، ومنا من أخذ ومنا من أعطى" ص ٣٠.
- ثم تؤكد المعلمة على احتواء الوطن مصر لكل الأزمات مقابل التحديات التي تواجهها، فتقول: "ومصر قلبها كبير مفتوح للجميع، مصر صانعة التاريخ، وكل ثمين وجميل وذو قيمة لا بد أن يكون له حاسدون وطامعون" ص ٣٠.

- دور المدرسة/ المعلمة في التوجيه السليم وبث روح العزيمة والجد والتآخي والانتماء للوطن تقول المعلمة: "فيا مريم ويا مريم، وكل المريمات، اجتهدن واستعددن لما هو آت، مصر حضارة وبكن تبنى حضارات، حافظن على مصركن وما حباكن الله به من خيرات" ص٣١، وبالفقرة السابقة موسيقى وتناغم وسجع بين الكلمات مما يخففها على النطق والتلقي.
- كما يشير المضمون السردي إلى أهمية قراءة التاريخ: تؤكد الكاتبة على أهمية بعض التواريخ في حياة الشعوب، وتؤكد أن هناك تواريخ مهمة محفورة بالذاكرة الجمعية ويجب ألا تنسى فتقول: " .... حتى يوم الخامس والعشرين من يناير، ذلك اليوم الذي لا يُنسَى يوم ثورة شعب مصر، ازدحم ميدان التحرير بالشباب وانضم إليهم الكبار والصغار من جميع طوائف الشعب يهتفون ويرددون (التغيير ..التغيير)، وأخذت أعداد الثائرين تزداد يومًا بعد يوم ..." ص ١٨، وفي العبارة السابقة أيضًا تأكيد على قيمة المواطنة، والتآخي المجتمعي عند الأزمات والثورات، والتلاحم الشعبي.
- وفي موضعٍ تالٍ من القصة نقرأ: "وظل يوم الثامن والعشرين من يناير ذكرى الشهداء الشرفاء يوم خلده التاريخ" ص٢٠، ويلاحظ أنهم أسموه بـ "جمعة الغضب" الموافق ٢٨ يناير ٢٠١١، "وفي يوم الجمعة التالي ازدادت أعداد المشاركين" ص٢١.
- أشارت الكاتبة إلى يوم تاريخي آخر يمكن أن يثير فضول الطفل المتلقي فيبحث عنه عبر الإنترنت أو يسأل عنه، وهو يوم (موقعة الجمل)، إشارة سياسية أيضًا لاسم معركة أسموها بمعركة (الجمل) وهي ضمن أحداث ثورة ٢٥ يناير، وانتقد البعض تسميتها بهذا الاسم تمييزًا لها عن (موقعة الجمل) الإسلامية الشهيرة في صدر الإسلام. فتقول: ".... وكان واحدًا من المصابين في هجوم الجمال والخيول" ص٢١.

وهنا كان يمكن التنويه باختصار بالهامش حولها على النحو التالي:

موقعة الجمل: هي هجوم بالجمال والبغال والخيول يشبه معارك العصور الوسطى في يوم ٢ فبراير ٢٠١١ للانقضاض على المتظاهرين في ميدان التحرير في القاهرة أثناء ثورة ٢٥ يناير، وذلك لإرغامهم على إخلاء الميدان حيث كانوا يعتصمون، وكان من بين

المهاجمين مجرمون خطرون تم إخراجهم من السجون للتخريب، ولمهاجمة المتظاهرين، ويطلق عليهم اسم البلطجية" (١٢).

ويمكن إضافة مقارنة مختصرة بسيطة عن الفرق بينها وبين موقعة الجمل الإسلامية في صدر الإسلام في الهامش؛ حتى لا يحدث تشتيت لذهن الطالب المتلقي، فمثلا يكتب حولها:

معركة الجمل: هي موقعة اسلامية شهيرة وقعت في البصرة في (١٣ جمادى الأولى ٣٦ هـ،٧ نوفمبر ٦٥٦ م)، بين قوات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والجيش الذي يقوده الصحابيان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، بالإضافة إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنهم أجمعين، التي قيل إنها ذهبت مع جيش المدينة في هودج من حديد على ظهر جمل، وسميت المعركة بالجمل نسبة إلى هذا الجمل، وسبب المعركة هو تأخر أمير المؤمنين في القصاص من قتلة عثمان بن عفان" (١٣).

ولعل في هذه المقارنة التاريخية البسيطة ما يربط بين الحاضر ويزيح اللثام عن الماضي، وتكون بمثابة إضافة معرفية تاريخية تزود حصيلته من المعرفة في مجال يرتبط بالسياق السردي للقصة، فهو سياسي تاريخي إلى حد كبير.

أكدت الكاتبة باستمرار على الزمن منذ تفجرت الثورة، إشارة إلى أيام الجمعة خاصة، حيث كان ليوم الجمعة دلالته دومًا، وقد أسمى الثوار أيام الجمعة دومًا بأسماء رمزية خاصة، مثل: جمعة الغضب، وجمعة التحرير، وجمعة التغيير، وجمعة الرحيل، وجمعة الشعب يسترد ثورته... إلخ.

وتشير إحدى الأدبيات السابقة إلى: "رمزية الجمعة والجامع في قاموس الثورات العربية حيث يبرز يوم الجمعة كمحطة أساسية في الثورات العربية، ولا ينبغي اختزاله في البعد الديني أو إضفاء صبغة إسلامية على الثورات العربية بقدر ما يؤشر إلى دلالات اجتماعية وثقافية وسياسية، ويرى الكاتب الليبي مصطفي الفيتوري: "برز يوم الجمعة من كل أسبوع كأكثر أيام الأسبوع أهمية، وتحول من مجرد يوم عطلة، وتعبد في العالم العربي إلى يوم مميز في كافة الانتفاضات العربية، فيما بات يُعرف بـ (الربيع العربي)، وأصبح أكثر أيام الأسبوع مثارًا لقلق الأنظمة، حتى أنها تتمنى لو أنه غير موجود في الأسبوع أصلًا.

وتحولت الجمعة إلى موعد ثابت للحشود الجماهيرية المُطالِبة بالحرية، وأصبحت أيام الدكتاتوريين تعد كَم من أيام الجمعة بقيَت لهم على سدة الحكم؟، وبدا واضحًا التلاقي

بين الثورة من جهة كوسيلة تحرر، والدين من جهة ثانية كمحرض على الثورة، ولو شكليًا في رمزية ظاهرة تجسدها أيام الجمعة.

واختيار يوم الجمعة له دلالة أكبر وأشمل تدخل في إطار المراجعات التي تشهدها المجتمعات العربية في قضايا جوهرية، وعلى رأسها العلاقة بين الدين والحياة اليومية للناس، والمفهوم الحقيقي للإسلام كمكون رئيس للهوية وعامل توحيد، وليس فرقة بمفهومه التوحيدي.

وشكلت ثورة ٢٥ يناير المصرية أوضح مثال على دور الجامع، خاصة يوم الجمعة من كل أسبوع لتعطي نموذجًا تعتريه المفارقة في العلاقة بين الثورة ويوم الجمعة، لسببين اثنين: الأول أن مصر بها طائفة قبطية كبيرة، والثاني أن الأقباط قبلوا أن يكون يوم الجمعة موعدًا للحرية، مع معرفتهم بقدسية هذا اليوم لدى المسلمين، وكان بإمكانهم الإصرار على يوم الأحد مثلًا، فيحدث انشقاق في زخم الشارع المصري. وتجلى هذا القبول في مشاركة رجال دين أقباط للمسلمين في صلاة الجمعة، وتشارك الجانبين في أداء الصلاة المسيحية أيضًا في ميدان التحرير الذي لعب دور الجامع الموحد بعيدًا عن هيمنة السلطة.

وحرص المصريون على أن يكون يوم الجمعة موعدًا ثابتًا لمسعاهم إلى الحرية، وأطلقوا عليه صفات عدة، منها: جمعة النصر، وجمعة الغضب، وجمعة الرحيل، إلى آخر الصفات التي سيسجلها التاريخ كمواعيد لإنهاء الطغيان، وانتقلت حمى الجمعة ورمزية اليوم إلي دول أخرى على رأسها اليمن وليبيا.

تلك هي الحالة على السطح، إلا أن العمق يشي بما هو أكثر، فيوم الجمعة موعد أسبوعي لانعقاد البرلمان الأسبوعي للناس، وهو موعد مثبت مسبقًا ودائمًا لا يضاهيه في ثباته موعد أي برلمان حديث، وهو لا يعترف بالعطلة البرلمانية التي تعطيها البرلمانات لنفسها كل سنة، معطلة حياة من انتخبوها أحيانًا. هذا الموعد كان وضعه الله للعبادة لا ليمارسوا فيه التجارة (التقليدية والسياسية)، بل ليلتقوا فيه ويتدبروا شأنين؛ لا ثالث لهما: الأول علاقتهم بالله على مدى أسبوع كامل، ومدى التزامهم بتعاليم المحبة والإخاء، وكيف انعكست تلك الممارسة طيلة أسبوع كامل على علاقاتهم الإنسانية ببعضهم البعض من حيث التزاور ومعايدة المرضى وتفقد أحوال الفقراء، أما الشأن الثاني فهو حالة مجتمعهم وظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وتكتسي العلاقة الأولى طابعًا خاصًا بين الإنسان وخالقه، وهي تتوهج في يوم الجمعة، ويزيدها ذلك اليوم قربًا بالعبادة. أما العلاقة الثانية فهي علاقة الناس ببعضهم البعض وبينهم وبين ولي الأمر، وهذه العلاقة الاجتماعية تشمل غير المسلمين

أيضًا، فلقد كان الجامع في بدايات الإسلام وقبل ظهور الدولة المنظمة مكان اللقاء الأسبوعي بين غير المسلمين من مسيحيين ويهود وأولي أمر المسلمين؛ للشكوى، أو لتقديم المطالب، أو لدخول الإسلام.

إن حالة الثورات العربية وارتباطها بيوم الجمعة له مغزى أساسي، وهو تحرير الدين من سطوة السلطة واستعادة الجامع كجامع للمسلمين لتدبر شئونهم كما كان، وليس فقط كمسجد للتعبد والدعوة للسلطان، وطاعة ولي الأمر مهما طغى(١٤).

وقد دللت الكاتبة سعدية العادلي ضمنًا وتصريحًا على هذا التأطير النظري السابق بوعي تربوي وسياسي مبسط للأطفال بشكل جميل عبر أحداث دراما السرد، فتقول: "وفي يوم الجمعة التالي،... نزلت الميدان أسرتا المريمتين، ..." ص٢١، وهي تقصد مشاركة الأسر المسلمة والقبطية يوم الجمعة، وليس الأحد.

وتكمل الكتابة والرسم البديع الناطق بالصوت والصورة والحركة عبر لوحة فنية جمالية بقلم مبدعة وريشة فنان، فتقول: "وعندما حان موعد الصلاة اتجه المسلمون إلى أماكن المياه للوضوء، وكانت مريم وهيب وأسرتها ومعهم الأقباط يحملون المياه ليتوضأ الجرحى والمصابون في أماكنهم، وأحيانًا يصبون المياه لمساعدة غير القادرين على الوضوء، وعند إقامة الصلاة انتشر الأقباط حول المسلمين، تأمينًا لهم أثناء الصلاة، وعند إقامة الأقباط قداسهم انتشر المسلمون حولهم تأمينًا لهم" ص ٢٢.

- كما تدلل على مواكبة (الإعلام) للأحداث السياسية؛ لنقل وتوثيق الحدث وبثه للجمهور عبر الصحف والمجلات والإذاعات والشاشات– مقروءة ومسموعة ومرئية – فتقول: "وجميع وسائل الإعلام تنقل أحداث الثورة من ميدان التحرير" ص ١٨.

١. قيم ومضامين اجتماعية مثل:

. الأمان الاجتماعي الأسري والاستقرار النفسي وحب العمل والإخلاص فيه، والمسئولية الاجتماعية للأب وللأم: "أسرة تنعم بالأمان والاستقرار، والدها محب لعمله، مخلص فيه، يوفر لأسرته متطلبات الحياة الكريمة" ص ٦–٧، كما يتضمن السرد قيمة الأمان المجتمعي، تقول: "وهكذا مرت الأيام ينعم الجميع بالأمان والاستقرار" ص ١٨.

- الأمومة وتفرغ الأم لرعاية الأسرة: "... وأما والدتها فقد تركت أسرتها وعملها لتتفرغ لرعاية ابنتها وزوجها " ص ٧.

- دور الجد/ الجدة التربوي: وبرزت بالقصة كيف يمكن للأجداد المساهمة التربوية في تنشئة الأجيال، بمدهم بخبراتهم التربوية الهادفة والإيجابية، ويبدو أن هذا جاء مقصودًا من الكاتبة لبث قيمة مهمة، وهي عدم الاستسلام للحزن مهما كان كبيرًا، ومقاومة الحزن والألم، بالعمل والجد والاجتهاد كل في مجاله كما ورد بالقصة: "... وتذكرت أباها، ولم تذهب للمدرسة إلى أن استطاع جدها أن يقنعها بالذهاب إلى المدرسة مرة أخرى، قائلًا في حب وحنان: وجودك مع زميلاتك يا مريم أفضل، فصحبة الأصدقاء تخفف الكثير من الأحزان" ص ٢٥.
- ثقافة ارتداء الأسود عند الحداد: دلالة الحزن للفقد والحداد على الموتى "ثقافة مجتمعية"، ويوصف ذلك بالسرد: "والدتها التي كانت ترتدي الملابس السوداء، تسيل الدموع من عينيها" ص ١٠.

٢. **قيم ومضامين تعليمية ومعرفية مثل:** التفوق الدراسي: "مريم وهيب تلميذة بالصف الثاني الإعدادي متفوقة في دراستها" ص٦، الحث على التعلم ومواصلة الدراسة بالمدرسة لما لها من أهمية في حياة الأطفال، مع مراعاة أن يكون الحث بأسلوب الحب والاحتواء: "استطاع جدها أن يقنعها بالذهاب إلى المدرسة مرة أخرى، قائلًا في حب وحنان:.. إلخ" ص ٢٥.

٣. **الطبوجغرافية في القصة:**

وردت إشارة لبعض المعلومات الجغرافية التي تنطوي على معرفة تاريخية، والتي قد تثير فضول الطفل، وتدفعه بفضول معرفي محمود وشغف للبحث عنها، مثل: "وأنا منزلي بالشارع الموازي لشارع طوسون، شارع العروسي" ص ١٢، هنا معلومة جغرافية، لكنها تشير لأسماء شخصيات، من المؤكد أنها تنطوي على دلالة وأهمية قصوى، تتعلق بالشخصية التي حازت هذا التكريم، فأطلقوا اسمها على هذا الشارع أو ذاك، وفي هذه القصة قد تدفع الطفل للسؤال: من هو طوسون؟ ومن هو العروسي؟ ولماذا سميت هذه الشوارع بأسمائهم؟ وهكذا.

٤. القيم والمضامين الدينية:

أ. القيم العقدية الإسلامية:

١. أشارت الكاتبة إلى ممارسة المسلمين لشعائرهم المقدسة التي تبدو في الممارسات التعبدية مثل (التطهر والوضوء وإقامة الصلاة) وورد ذكرها ص ٢٢، عند الحديث عن صلوات المسلمين في ميدان التحرير.

٢. وأشارت إلى (صوم رمضان) وبعض ما يتعلق به من عادات احتفالية، كركن مهم من أركان الإسلام، وكشعيرة تعبدية عقدية عبر مظاهر احتفالات المسلمين في شهر رمضان المعظم، فأشارت ص ١٥ إلى: موائد الإفطار إشارة إلى: (موائد الرحمن) التي يقيمها الأثرياء لإفطار الفقراء وعابري السبيل، كما أشارت لحلوى رمضان الشهيرة، مثل الكنافة والقطايف والياميش ص ١٥.

كما أشارت إلى (المسحراتي) الرمز الإسلامي الرمضاني الشهير كـ (دلالة ضمنية على السحور)، وهو واجب على المسلمين، وذكر كثيرًا في أحاديث الرسول ص مثل: {يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: تسحروا فإن في السحور بركة} [متفق عليه، صحيح البخاري، رقم ١٩٢٣، صحيح مسلم، برقم ١٠٩٥]"[١٥].

وأشارت إلى مظاهر الفرحة الشعبية باستقبال شهر رمضان الكريم من تعليق للزينات بالشوارع وإضاءة الفوانيس، إلخ.

- وأشارت إلى الاحتفالات بقدوم عيد الفطر المبارك عبر التجهيزات الشعبية له.
- أشارت إلى أذان الفجر في رمضان "تشرب الشاي منتظرة آذان الفجر في البلكونة" ص ١٦.

ب. العقدية المسيحية: وتعرض القصة للحرية التعبدية لأهل الذمة من الأقباط بمصر في ممارسة طقوس عباداتهم، مثل قداس ليلة رأس السنة الميلادية، تقول القصة: "ذهبت مريم بصحبة أمها وأبيها لحضور القداس بكنيسة القديسين" ص٨، ومثل قداس الصلوات أيام الآحاد، ووردت ضمنًا أيام ثورة ٢٥ يناير بميدان التحرير، وأشارت أيضًا إلى ممارسة الأقباط لطقوسهم التعبدية مثل: قداس الأقباط، عند الثورة بميدان التحرير أيضًا، ص ٢٢.

ت. **قيم التسامح الديني في مصر**: الإخاء بين المسلمين والأقباط، ومواقف التفاؤل للجميع: حرصت الكاتبة على التأكيد على تآخي المسلمين والأقباط في السراء والضراء بطول السرد، ودلت الكثير من العبارات على هذا، ففي الأعياد القبطية: "... يشاركهم المسلمون في تمنياتهم بعام جديد يحمل الخير والحب والرخاء" ص٨، "لم تفرق الأحداث بين أحمد وجرجس، ولا يوسف ومينا، ولا فاطمة وجينا" ص١٠.

- في مضمون العبارة بين الطفلتين المختلفتين في الديانة يبدو التآخي بينهما واضحًا عند التعارف في (المدرسة بداية) ص ١٢، قالت مريم محمد: "أنا سعيدة بوجودك جانبي"، ردت مريم وهيب: "اعتبريني توأمك"، ثم تأتي الأفعال للمثنى في العبارات التالية للدلالة على هذا التآخي بينهما: "تتبادلان أصناف السندوتشات، أخذهما علب العصير، تذهبان معًا إلى المدرسة، تجلسان معًا متجاورتين، تعودان معًا من المدرسة، تخرجان معًا للنزهة والشراء، تشتريان بسطرمة العم مرقص، وتقفان معًا في البلكونة تنتظران عم عبد الكريم يمر بعربة الفول...، خصصت المريمتان يوم الجمعة لمراجعة الدروس، جمعة عند مريم وهيب وجمعة عند مريم سعيد، ... " ص١٢، ١٣، ١٤.
- التآخي في المناسبات والأعياد والمواسم الدينية والاحتفالات: يشير السرد القصصي إلى مساهمة الأقباط مع المسلمين في شهر رمضان المعظم، حيث يعلقون معهم الفوانيس والزينات، ويتبادلون الحلوى، مثل: الكنافة، والقطايف، وفي الأعياد يصنعون معهم الكعك والبسكويت، وفي الأفراح يتبادلون التهاني أيضًا، والمشاركة في عقد القرآن بالمسجد والإكليل بالكنيسة، وسندلل ببعض ما ورد بالنص السردي: "رأت مريم محمد فانوسًا كبيرًا عند مريم وهيب، تقول مريم وهيب: تعود جدي أن يشارك في تعليق الزينات والفوانيس" ص ١٥. "دَعَت مريم محمد صديقتها وأسرتها لحضور عقد قرآن أخيها خالد في الجامع.....إلخ"، "وَدَعَت مريم وهيب صديقتَها لحضور حفل زفاف ابنة خالتِها في الكنيسة، وأُعجبت مريم محمد بمراسمِ الزواج في الكنيسة والطقوس التي رأتها للمرة الأولى" ص ١٦، ١٧.

- التآخي بين المسلمين والأقباط في الحياة الاجتماعية الأسرية: الفرح لفرحهم والحزن لحزنهم يدل النص على ذلك في عدة مواضع، ذكرنا مواقف الفرح عند استقبال الأعياد مثلًا، والمشاركة في صنع حلوى العيد معًا ص ١٥، ١٦.
- وفي مواقف الحزن والألم تقول مريم محمد لمريم وهيب: "رفعت مريم رأسها، وقالت: خالد يا مريم مات في المستشفي من يومين، صرخت مريم وهيب: "يا لها من صدمة قاسية"، لقد كان خالد يقوم بتوصيلها إلى منزلها عندما تتأخر، وهي تستذكر مع أخته مريم، التقت عينا المريمتين المتورمتان من كثرة البكاء، وكأن كلًّا منهما تقول للأخرى: هل نحن فعلا توأم؟! حتى الأحزان مشتركة بيننا؟!" ص ٢٨.
- ومن دلالات مظاهر التآخي المجتمعية عبر(جغرافية المكان) رصد السرد حي (شبرا) حيث تسكن مريم وهيب، للتدليل به كنموذج شهير: "شبرا... هذا الحي العريق، الذي لا يخلو فيه شارع من جامع أو كنيسة، وفي بعض شوارعه الجامع والكنيسة إما متجاوران وإما متقابلان" ص١٤.
- وفي المصائب المجتمعية التاريخية أيضًا يكون التآخي: كما حدث في بعض الاعتداءات والعنف المجتمعي السياسي إبان ثورة ٢٥ يناير، رصدت الكاتبة (المواطنة) عبر التضامن الإسلامي المسيحي، وعبرت عنه بدلالات الأسماء الرمزية المضمرة الدالة: "سارع الجميع لإنقاذ المصابين: مصطفي، وجورج، وفاطمة، وجينا، أبناء مصر، منهم الملتحي ومنهم من ظهر الصليب على ساعده، الجميع متألمون لهذا الحدث المؤسف الغريب والحزين" ص ٨، وفي الفقرة ما يعبر أيضًا عن الشراكة المجتمعية لأبناء الوطن الواحد و(مواطنة) الجميع تحت سماء الوطن لا فرق بين دين ودين.
- مشاركة المسلمين للأقباط وتآخيهم في ميدان التحرير في ثورة ٢٥ يناير: بدت المشاركة الاجتماعية في تفاصيل الحياة اليومية بالميدان واضحة، يقول السرد: "وإذا ما أحست الصديقتان بالجوع، يحضر لهما خالد البطاطا وبعض المياه" ص ١٩.
- مضامين تتعلق بالعنف المجتمعي أو الحوادث الإرهابية السياسية: أشارت الكاتبة إلى بعض الأحداث المجتمعية التي صنفت سياسيًا على أنها حوادث إرهابية إعلاميًا دون التصريح بلفظة (إرهاب أو أي من مشتقاتها)، وهو ما يحسب للكاتبة مسئوليتها

وموضوعيتها عند صياغة قصة للأطفال أو الطلائع، حيث تختلف وجهات النظر في تصنيف الحدث، وكل يصنفه بحسب هواه ومرجعياته السياسية. تقول الكاتبة: "كثرت الحوادث؛ حادثة قطار الصعيد، وحادثة العبارة، وحادثة قصر ثقافة بني سويف، وسفاح المعادي والبساتين، وضحايا صخرة الدويقة، وحادث خالد سعيد، وغيرها وغيرها" ص ٩. هذا الرصد المختصر السريع الذي يعتبر مجرد عناوين يدفع الطالب المتلقي إلى الفضول المعرفي للبحث والتقصي عن كل هذه الحوادث؛ مما يمثل إضافة معرفية موازية للسرد القصصي.

- "وللأسف كان والد مريم وهيب أحد ضحايا كنيسة القديسين" ص ١٠.
- كما نوهت بحادث الاعتداء على كنيسة إمبابة، لكن دون ذكر تاريخ ولا الدوافع والأسباب، فربما لا تخدم الدوافع هدف القصة[١٦]. "وتضمنت النشرة الاعتداء على كنيسة إمبابة، وإطلاق الرصاص وإلقاء البعض بزجاجات المولوتوف؛ مما أسفر عنه العديد من الإصابات، وأخذت أم مريم في البكاء وتذكرت حادث كنيسة القديسين وفقدها لزوجها" ص ٢٤.

التحليل المضموني الجمالي للسرد القصصي

رغم بساطة السرد وعفوية الساردة، ورغم أن القصة تكاد تكون ظاهريًا جادة أو جافة حين نقرأ العنوان (الشعب المحترم)، ذلك العنوان البسيط جدًا الذي ينطوي على التسييس (الشعب) والجدية (المحترم)، كما توحي به الدلالة الأولى للقراءة، إلا أن القصة جاءت ممتعة ترسم لوحات فنية جميلة ناطقة نابضة بالحياة (صوت، وصورة، ولون، وحركة) عبر السرد، بخلاف تلك اللوحات المرسومة بريشة الفنان محسن عبد الحفيظ .

نذكر على سبيل المثال:

- **تحية العلم بفناء المدرسة:** القراءة الضمنية نابضة بهتاف التلاميذ والمعلمين، ولون العلم الأحمر والأسود والأبيض يتجلى في مخيلة الطفل، والموسيقى الحماسية لنشيدنا الوطني الرسمي (بلادي بلادي بلادي .. لك حبي وفؤادي) نكاد نسمعها قوية مزلزلة في أرواحنا عبر موسيقاها الموشومة بداخلنا، وفي ذاكرتنا الجمعية كلنا:

أطفالًا، وشبابًا، وشيوخًا.. سوف يستعيدها الطفل حين يقرأ القصة، وقد يتوقف ليرددها.

- صوت الانفجار المروع بجوار كنيسة القديسين بالإسكندرية: نكاد نسمع الانفجار عبر السرد، ونكاد نرى مشاهد مخيفة مروعة مثيرة للرعب، فنقرأ: "ولكن هذه المرة حدث شيء خطير لم يتوقعه أحد، فجأة سمع الجميع صوت انفجار عاليًا أمام الكنيسة، اهتزت له الأرض، وبكت من أجله السماء" ص ٨. وتصور الكاتبة مدى بشاعة الحادثة وهولها فتجسد الأرض والسماء كأنهما شخصان، مستخدمة أسلوب الأنسنة الجمالي؛ لتقريب المعنى، وتصوير هول الخطب، ففي الصورة الناطقة نسمع انفجارًا مدويًا، ونسمع صراخًا للناس، ونشهد قتلى وجرحى، ودماء تناثرت، وأشلاء تبعثرت، وأصوات عويل وبكاء، إنه تصوير سردي ملون ومتحرك ومثير لمشاعر القلق والخوف والرعب عبر الأصوات المدوية، يعم الحزن، ونسمع أصوات المبتهلين المتضرعين إلى الله بالدعاء: "واتجهوا إلى الله أن يخلصهم من الظالمين" ص ٩.
- **مشاهد صباحية شعبية:** ترسم الكاتبة صورة شعبية جميلة وبديعة ناطقة لأحد صباحات الأحياء الشعبية العريقة، وترمز له بحي شبرا، وتصور لنا كيف يكون الصباح نديًا بالألفة والمحبة والمواطنة والتآخي والانتماء، ونكاد نسمع أصوات الباعة الجائلين ينادون على الفول والبليلة، ونكاد نرى عرباتهم المألوفة تجرها الحمير، نكاد نسمع صوت البائع والصبي والجارات يتبادلن تحية الصباح (صباح الخير) ويبدأون يومهم بالحب والأمل والتفاؤل، بل نكاد نشم رائحة الفول الطازج هذا الطعام الشعبي المقدس للمصريين، ورائحة البليلة الساخنة، إنها صورة بيانية ولوحة رائعة ناطقة بالفرح والبشاشة والحبور في البكور. تقول الكاتبة: وقد أخذتنا وجذبتنا جذبًا للمشهد المصري المألوف: "... تشتريان بسطرمة العم مرقص، وتقفان معا في البلكونة تنتظران عم عبد الكريم يمر بعربة الفول يجرها الحمار، وابن عبد الكريم يمر يأخذ آنية الفول من (السَبَتْ) المُدَلَّى بالحبل من الأدوار المختلفة ويعطيها لوالده ليضع فيها الفول، ثم يعيدها الابن إلى مكانها في السبت مرة أخرى، وقد علا صوته: "بجنيه فول لعمي أحمد، وبجنيه ونصف لعمي جرجس، وبجنيه لأبونا حنا، وهنا بليلة للحاجة فاطمة" ص١٣.

نلاحظ من الفقرة السابقة الإشارة أيضًا إلى مساعدة الأطفال لآبائهم في عملهم وحرفهم، فالصبي يساعد أباه عبد الكريم، إنه يعوده المسئولية الاجتماعية منذ صغره؛ ليشب عليها، وهي من قيم التنشئة السياسية الفطرية لدى بعض طبقات الشعب العاملة والفقيرة من أصحاب المهن الحرة البسيطة، حيث نرى المكوجي يعلم ابنه، ويعرفه بدايات الصنعة، لكنه يبدأ بتعليمه كيف يذهب للشقق يأتي بالملابس المراد كيها، ويعود بها لأصحابها مرة أخرى، ومثل صبي (الميكروباص) الذي غالبًا ما يعتمد على ابنه أيضًا ينادي، ويعلمه جمع الأجرة من الركاب، ومثل معاون (الجزمجي) و(القهوجي) والجزار وهكذا، ولعل الكاتبة أشارت لنموذج واحد، لكنه ذو دلالة عملية للتنشئة الاجتماعية والسياسية على تعويد الآباء للأبناء على تحمل المسئولية منذ الصغر.

وتكمل الكاتبة السرد لتؤكد بوعي ومباشرة هادفة كيف يمكن أن يجمع الباعة الجائلين بين فئات الشعب، ويساهمون في تواصلهم الودي بشكل عفوي، وهو مشهد يومي متكرر رصدته الكاتبة بوعي واقتدار، عبر صورة فنية سردية جميلة، تقول: "وهكذا يكون موعد عبد الكريم فرصة للجيران يتبادلون صباح الخير، ويسأل بعضهم عن بعض" ص١٤.

وترسم الكاتبة صورة أخرى بديعة ناطقة تأخذنا أخذًا جميلًا لداخل الصورة ولذكرياتنا معًا في الطفولة، فتقول: "رأت مريم محمد فانوسًا كبيرًا ألوانه جميلة زاهية... عند مريم وهيب، سألت جدي لمن هذا الفانوس؟ فقال إنه ملكنا جميعًا، فالناس هنا يستقبلون رمضان بفرحة، الشباب والأطفال يمرون على البيوت يجمعون النقود لشراء الفوانيس الكبيرة والزينات والأنوار، وقد تعود جدي أن يشارك في تعليق الزينات والفوانيس وبعد العيد يحتفظ بالفانوس الكبير لرمضان التالي،... ردت مريم محمد في مرح: سوف تستمتعين معنا بمظاهر الاحتفال برمضان في شبرا، الناس كلها سهرانة، محلات الكنافة والقطايف، والياميش والمقبلات، وموائد الإفطار المنتشرة في كل مكان، ... وتتفق الحاجة فاطمة مع طنط ماري لشراء لوازم الكعك والبسكويت، معًا، ويتجمع الجيران عندها، ومع برامج الإذاعة وأمام المسلسلات التليفزيونية هناك من تحضر العجين، ومن تشكل ومن ترص في الصيجان، وصيجان نازلة في طريقها إلى الفرن، وصيجان صاعدة بعد نضجها، ورائحة الكعك والبسكويت، الله الله عليها، والمسحراتي حين يجوب الشوارع ومعه الطبلة يسمعها الجيران، الجميع في البلكونات، أسرة تسحرت وتشرب الشاي منتظرة أذان الفجر، وأخرى تقرأ، وثالثة تشاهد برامج التليفزيون..." ص ١٥.

كما تقدم لنا كتابة ورسمًا بديعًا ناطقًا بالصوت والصورة والحركة عبر لوحة فنية جمالية بقلم مبدعة وبريشة فنان (في الميدان)، فتقول: "وعندما حان موعد الصلاة اتجه المسلمون إلى أماكن المياه للوضوء، وكانت مريم وهيب وأسرتها ومعهم الأقباط يحملون المياه ليتوضأ الجرحى والمصابون في أماكنهم، وأحيانًا يصبون المياه لمساعدة غير القادرين على الوضوء، ...، وعند إقامة الصلاة انتشر الأقباط حول المسلمين، تأمينًا لهم اثناء الصلاة، وعند إقامة الأقباط قداسهم انتشر المسلمون حولهم تأمينًا لهم" ص ٢٢.

- الاستلهام الجمالي من القرآن الكريم، تقول العبارة: "واحمرت عيناها وتورمتا من البكاء" ص ٢٦، والعبارة حين نقرأها نتذكر على الفور الآية الكريمة من سورة يوسف التي تصف حزن سيدنا يعقوب على فقده لابنه يوسف وطول غيابه عنه، تقول الآية الكريمة: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].
- جماليات نصية سردية: عبر توظيف الأناشيد القومية، مما يسهم في إثارة الحماس والانتماء والولاء وحب الوطن (مصر)، إذ تلعب المدرسة دورها في تنمية هذا الجانب الوجداني لدى التلاميذ، يقول النص: "... وتلميذات الصف وطالبات المدرسة عند الانتهاء من طابور الصباح ينشدن بحب وقوة: ضمينا يا مصر يا مصر ضمينا.. ولحضنك الدافئ خدينا... ضمينا يا مصر يا مصر ضمينا.. لا تبكي يا بنت الشهيد.. لا تبكي يا أخت الشهيد، يا مريم محمد ومريم وهيب، سيعود الأمل من جديد" ص٣٢.

وهكذا تأتي الخاتمة متسقة مع السرد وأهداف القصة كلها بشكل جميل وممتع ومثير للحماس ودافع للجد والتفاؤل في الغد المشرق البسام لوطننا الغالي مصر أم الدنيا.

ملاحظات نقدية

ووفقًا للمنهج النقدي ورغم كل روعة القصة وجمالياتها، إلا أنه لنا بعض الملاحظات المثيرة للجدل والتساؤل، لعل منها ما يلي:

- من الملاحظ أن الكاتبة أشارت ليومي: ٢٥، و٢٨ يناير في السرد دون ذكر عام الثورة ٢٠١١ ، مكتفية باليوم والشهر فقط، فبدا لنا السؤال التالي يطرح نفسه: لماذا لم تذكر الكاتبة العام ٢٠١١ تأكيدًا لعام ثورة يناير؟، فهل هي عامدة لعدم ذكره؟ أم أنه سقط سهوًا رغم أهميته المستمدة من أهمية القصة وأهمية ما تنطوي عليه من مضامين وقيم التنشئة السياسية؟.
- وفي رأينا النقدي أنها لو تعمدت إغفال ذكره؛ فلعل هذا يرجع لشهرة التاريخ نفسه، أو لعلها تود إثارة فضول الطفل المتلقي ليتساءل متى قامت الثورة، ولا سيما أن القصة للطلائع ومرحلة الطفولة المتأخرة على أعتاب فترة المراهقة، فهي مرحلة تتميز بالنضج العقلي وبالحاجة لزيادة المعرفة، أما إن كان قد سقط سهوًا أو لتخفيف السرد، فهو يعد غير مقبول أو غير مناسب لمحتوى وأهداف التنشئة السياسية بالقصة.
- ماذا لو أضافت الكاتبة بعض مفردات وأسماء (جديدة) ضمن تعاطي ثقافة الآخر في قصة تناولت التسامح الديني ونبذ العنصرية، والمواطنة وقبول الآخر والتآخي بها واضحًا جليًا؟ تقول: "وأُعجبت مريم محمد بمراسمِ الزواج في الكنيسة والطقوس التي رأتها للمرة الأولى" ص١٧، فماذا لو نوهت بكلمة واحدة مثل (الإكليل) أو (نصف الإكليل) في حوار بسيط بين مريم القبطية والمسلمة، كأن تقول لها: أدعوكِ لحضور (الإكليل) بالكنيسة، وعندما تسألها، فترد عليها: إنه مثل عقد القرآن أو الزفاف عندكم.

ملاحظات لغوية

- ورد بالقصة بعض المفردات يجب تصحيحها، مثل "صيجان ص١٦" والصحيح صاج/ صاجة. الصاج: جمع، ومفرده صاجة، وصاجة مُضَلَّعٌ، نوع من الأطباق المعدنيّة المستطيلة يُخبز فيها يقال: وضعت الكعكَ في الصَّاج، ثم أدخلته الفرن" (١٧).

- ورد بالقصة: كلمة (البلكونة) ص ١٦، والأفضل لهذه المرحلة العمرية أن تكتب اللفظة عربية سليمة، أي (شرفة)، فالبلكونة لفظة أجنبية.
- في ص ٣٠ كانت المعلمة توجه حديثها للطالبات، بقولها: يا بناتي، لذا تستوجب العبارات كلها المخاطبة بضمير جمع المؤنث السالم، لكن ورد بالسرد قولها: "... فما بالك بمصر ...؟" والصياغة الصحيحة هي: "فما بالكن بمصر"؟
- ورد بالقصة كلمة (التليفزيون)، وهي متداولة شائعة فيا حبذا لو كتبت بالفصحى، أي (التلفاز) لأطفال هذه المرحلة للتعرف على مفردات جديدة بالنسبة لهم، وللتأكيد على قيم الحفاظ على اللغة العربية، ولا سيما أن الكاتبة متخصصة باللغة العربية، وتملك أدواتها السردية وموهبتها في الحكي للأطفال، فضلًا عن أهمية وضرورة إضافة مفردات جديدة تثري السرد لغويًا، بما يتناسب مع أطفال هذه المرحلة العمرية المتقدمة، وإن لزم الأمر بضرورة شرحها في الهامش فلا مانع، وليس معنى هذا إثراء القصة بالعديد من المفردات اللغوية الفصحى الصعبة التي يتعثر الطالب في فهمها فيصعب عليه القراءة وينصرف عنها بسبب صعوبة الفهم، لكن المقصود إضافة بعض كلمات، ككلمة في كل صفحة أو اثنتين على الأكثر؛ لأن قارئ هذه القصص في هذه المرحلة المتأخرة من الطفولة يعتبر قارئ متميز، وطفل مثقف وواعٍ إلى حد كبير؛ لأن القراءة هواية وقدرة لا يتمتع بها كل الأطفال.

جماليات الصورة في القصة

اشتملت القصة على ١٤ لوحة/ صورة مرافقة للنص السردي، بخلاف صورة الغلاف (سبق عرضها بعتبات النص)، وجاءت اللوحات كالتالي:

١. **اللوحة الأولى والثانية:** متشابهتان لحد كبير وتعكس صورة لثلاث فتيات طالبات بالمدرسة، تؤدي تحية العلم بالزي المدرسي، لكن تغيب المباني المدرسية عن اللوحة الأولى، ويبدو العلم واضحًا فقط، بينما تبدو المباني في المشهد الثاني في الخلفية، وتغيب صورة التلميذات والمعلمات والطابور، وهو ما يؤخذ على فنيات الصورة، واستسهال الفنان للرسم.

٢. **الصورة الثالثة لمشهد نيران وحريق:** وهو دالة حدث القنبلة المذكور بالقصة، ويبدو الفزع على وجه رجل يحاول الفرار من النيران خلفه، بينما يبدو آخر قتيلًا وقد سقطت بعض الدماء القليلة من يده اليمنى، وتبدو في الخلفية صورة لمبنى، المفروض أنه دالة لكنيسة القديسين، لكن غاب عن المبنى صورة الصليب، وهو أيقونة فنية مقدسة يجب أن توضع فوق المبنى لتوضيح المعنى، كما غاب عن اللوحة وجود حشد من الناس، جاءت اللوحة ضعيفة فنيًا وغير معبرة عن قوة الحدث.

٣. **الصورة الرابعة:** لمعلمة محجبة بالمدرسة ترحب وتربت على كتف تلميذة يبدو أنها الطالبة مريم وهيب المنقولة للمدرسة حديثًا، وخلفهما تبدو سبورة احتلت مساحة كبيرة من فراغ الصورة، وأيضًا يبدو الاستسهال في الرسم واضحًا وغير معبر تمامًا، فقد غاب من المشهد بعض الطالبات في الصف يجلسن إلى المقاعد، أو حتى تقف إحداهن على السبورة تكتب أي كلمات دالة على ما توحي به القصة من مضامين الانتماء والتنشئة السياسية أو حب الوطن، أو أي تاريخ دال على شهر يناير، مع توضيح السنة.

٤. **الصورة الخامسة:** للطالبتين: مريم محمد، ومريم وهيب يجلسان بجوار بعضهما في المقعد المدرسي يتبادلان الساندوتشات، وتبدو خلفهما النافذة تقريبًا مطلية بدهان أزرق بلا داعٍ، وكأننا في حالة إعلان طوارىء لغارة مثلًا، كما يحدث بزمن الحروب، وكان من الأفضل أن تبدو لوحة معلقة على الحائط من لوحات النشاط مكتوب فيها بعض حكم أو أبيات شعرية دالة على حب الوطن، ولكن ما زال الاستسهال لدى الفنان والسرعة في رسم القصة دون تأن لمحاكاة الأحداث، بحيث تعكس الصورة بعض جوانب النص وقيمه المنشودة، وتساهم في بث أهدافه ولا سيما أن الكاتبة عبرت عنها بإتقان وقدرة فائقة.

٥. **الصورة السادسة:** لبائع الفول يبدو بشوشًا مبتسمًا، ويغرف الفول في الصحن، ومازال الفنان يستسهل، الصورة كانت بحاجة لرسم المشهد السردي بشكل أكثر تفصيلًا، كان بإمكانه رسم السبت من إحدى الشرفات الموجودة بالمبنى الخلفي، أو صورة لأي من السكان تطل منها، وصورة لامرأة في مواجهتها؛ لتوضيح اجتماع السكان على مائدةٍ عم عبد الكريم الافتراضية، أو صورة للابن الصغير الذي يقوم

بتوصيل الطلبات، الصورة بحاجة لمزيد من التفاصيل اتساقًا مع ثراء السرد القصصي، فالكاتبة لم تبخل بالوصف الجميل، لكن الصور بخيلة في الوصف إذا جاز التعبير.

٦. **الصورة السابعة:** تبدو للبنتين: مريم وهيب، ومريم محمد تهللان تقريبًا، وواقفتان في ميدان أو حديقة بها زروع وأشجار، وتبدو مبانٍ خلفية باهتة من بعيد، والصورة لو تقصد وجود البنتين في ميدان التحرير أثناء الثورة فسوف تكون صورة غير معبرة، ولا تعكس أي واقع، ولا يوجد ثوار، ولا تعبر عن الثورة، والمفروض يكون بها حشد وجماهير شعبية وشباب وأعلام مرفوعة على سبيل المثال، للأسف الصور ينقصها الكثير، وتبدو ساذجة سطحية لا تناسب دسم الأحداث التي يكتظ بها السرد.

٧. **الصورة الثامنة:** تشبه إلى حد كبير صورة الغلاف الأول حيث تبدو المريمتان في الميدان يرفعان العلم، وأيضًا الصورة ناقصة لجماهير الثوار، وكأن البنتين وحدهما في ثورة، دون أي دليل على مظاهر الثورة، للأسف معظم اللوحات فقيرة جدًا، وغير معبرة بالقدر اللائق للسرد الثري.

٨. **اللوحة التاسعة:** لشاب يبدو أنه خالد أخو مريم محمد، ويعطي البطاطا لمريم وهيب، لا توجد أيقونة الصليب على صدر أو يد مريم القبطية لتوضيح مغزى الصورة التي يجب ان تعبر عن التلاحم الشعبي والإخاء في الوطن كما وضحتها الكاتبة، وأيضًا المفترض أن هذا يحدث في ميدان التحرير، لكن ميدان الفنان الذي رسم اللوحات يبدو أنه كان دومًا خاليًا من كل الناس، فلا ثوار تهتف ولا بيوت ولا جرحى ومصابين أو قتلى، لا شرطة ولا جيش ولا شعب، للأسف اللوحات عاجزة عن التعبير ولا تتسق مع السرد ويبدو فيها الاستسهال واضحًا، كأنه سمة عامة لكل اللوحات.

٩. **اللوحة العاشرة:** تظهر المريمتان تتابعان لوحة سوداء، والمفترض أنهما يجلسان أمام التلفاز يشاهدان نشرة الأخبار، لكن لا توضح الصورة أنه تلفاز، ولا الغرفة المفترض أنهما يجلسان بها دالة على كونها غرفة، فلا نوافذ بها ولا ستائر ولا صورة معلقة على الحائط، ولا أي من معالم غرفة في شقة، بل يبدو خلفهما حائط مخطط بدرجتي الأصفر والمستردة كدهان، وقد جلستا على حافة أريكة أو مقعد متجاورتين بانتباه واضح في نظرة عينيهما فقط ص ٢٣.

١٠. **اللوحة الحادية عشرة:** صورة لطفلة وحيدة تبكي وقد انكفأت على سرير، وعلى الحائط صورة نفترض أنها لوالدها المتوفى بحادث كنيسة القديسين، أيضًا لا يوجد رسم لأيقونة الصليب على جدار الغرفة ولا تمثال أو صورة للعذراء مريم عليها السلام، ولا أية صورة دالة على أنها مريم وهيب كما نفهم من النص الموازي، ولا يوجد شريط أسود في زاوية الصورة كدالة حداد؛ ليفهم الطفل أنها صورة لميت كي يتعلم معلومة فنية مثلًا أو حتى أحد تيمات الثقافة الشعبية المتوارثة، الصورة تفتقد الكثير، ما زال منطق الاستسهال هو الغالب، بما لا يوفِّي القصة حقها كما هو في زخم السرد الرائع الشارح الدال. وإذا ما أضفنا أن القصة لمرحلة الطفولة المتأخرة أي للطلائع فهذا يعني القصور الفني الشديد لدى الفنان في تقديم لوحات أكثر تفاصيل تناسب احتياجات أطفال هذه المرحلة من حيث تشكيل الوعي الفني لديهم الأكثر نضجًا، فهذه الصور بالكاد تناسب أطفال الروضة والحضانة.

١١. **اللوحة الثانية عشرة:** تعبر عن المريمتين معًا، والمفترض أنهما في لقاء حميمي بعد غياب، بالمدرسة لكن ملامحهما لا تشي بذلك.

١٢. **اللوحة الثالثة عشرة:** للمعلمة تشرح على السبورة وقد كتبت عليها (٢٥ يناير، الوطن، يد واحدة)، وأيضًا غابت تلميذات الفصل كأن المعلمة تشرح لنفسها.

١٣. **اللوحة الأخيرة:** تعبر عن المريمتين بالزي المدرسي يلهوان معًا في نشاط وفرح في فناء المدرسة، وخلفهما يبدو المبنى المدرسي وبعض الأشجار، واللوحة ينقصها أيضًا الطالبات الأخريات لتحاكي الواقع، وينقصها العلم من خلفهما لتأكيد الهوية الوطنية، مع التآخي وينقصها الدلالات الرمزية لتآخي المسلمة والقبطية كما ذكرنا من قبل.

ويحسب للفنان تناسق الألوان ونصاعتها عبر معظم اللوحات، فالأزرق أزرق واضح للزي المدرسي مع البلوزة البيضاء، والأشجار خضراء مورقة، والمبنى المدرسي أصفر بنوافذ زرقاء؛ مما يجعل وضوح الألوان عند اختلاطها ببعضها تبدو مريحة ودالة فنيًا، كذلك استخدامه للون الأحمر مع الأسود مع الأبيض مع النسر بالأصفر جاءت قوية ومثيرة للحماس، وبقية الألوان وتداخلها لا غبار عليها من حيث التعبير الفني والدلالي للألوان وتناسقها معًا.

توصية عامة

أتمنى ألا تنفصل النصوص السردية عن الرسومات، بمعنى ألا يكون الكاتب في وادٍ والرسام الفنان في وادٍ آخر، وأن يتم التنسيق بينهما وتبادل الاستشارة، بمعنى أن يعرض الرسام الصور على المؤلف ويعرف وجهة نظره، ومن حقه أن يخبره برأيه في اللوحات لأنه (المؤلف) هو أكثر فهمًا لقصته وتفاصيلها وماذا يريد أن يبرز في الصورة؟ أعني ضرورة حضور وتشاركية الرسام مع المؤلف، وعرض اللوحات عليه قبل الطباعة، والأخذ بملاحظاته حتى تخرج القصة مقنعة، فرسم القصة هو نص موازٍ لها وضروري، ومن الأهمية بمكان ألا ينتقص من السرد، بل يضيف إليه، ويعبر عن معظم الأحداث، فعلى سبيل المثال جاءت صور كثيرة بها تكرار، في الوقت الذي أغفلت فيه أحداث بعينها غاية في الأهمية في القصة، مثل: التعبير الديني عن تلاحم المسلمين مع الأقباط، ورسم فانوس وزينات رمضان، وحشود الثوار، غيرها مما ورد بسخاء في السرد، ومن المؤسف ألا تكون اللوحات الفنية بنفس حجم السرد شكلًا ومضمونًا، فهو يسيء للشكل الفني للقصة، ويبخس حق الكاتب في مؤلفه الإبداعي؛ لذا أؤكد على ضرورة تواصل الكاتب مع الرسام، والأخذ بعين الاعتبار ملاحظاته على اللوحة قبل إخراجها بشكل نهائي للطباعة، فكم من أغلفة أساءت لقضية القصص والروايات، بل وأثرت على نسبة مبيعاتها.

هوامش الدراسة:

١. مصطفي حمزة في الموقع الإليكتروني:
https://gate.ahram.org.eg/News/٢٨٨٤١٥٠.aspx

٢. السيسي: أهمية أدب الطفل في التوعية بمحاور الأمن القومي لمصر وتحقيق التنمية المستدامة، ٩ إبريل ٢٢ في الموقع الإليكتروني:
https://aleqaria.com.eg/post/details/٧٢٤١١

٣. انظر: التنشئة السياسية للطفل... وأهميتها- سبتمبر ٣٠، ٢٠١٢- في
https://www.mfnca.gov.ae/ar/media/altamkin-newsletter-content/the-political-formation-of-the-child-and-its-importance/

٤. https://www.alukah.net/literature_language/٠/٤٢٥١

٥. أميمة منير جادو: العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والإعلام، القاهرة: دار السحاب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

- أميمة منير جادو: التنمر المدرسي، بحث منشور بالمركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، ٢٠١٩,

٦. انظر: دور الأسرة في تعزيز قيم المواطنة، في مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد: ١٨٢ ، الجزء الثاني (إبريل، لسنة ٢٠١٩ م)- في (Alazzi & Chiodo) ٢٠٠٨.

٧. د. لطيفة الكندري: تعزيز قيم المواطنة في الموقع الألكتروني :
https://www.balagh.com/article

٨. لطيفة الكندري: المرجع السابق.

٩. لطيفة الكندري :المرجع السابق.

١٠. سعادة خليل : تنشئة الأطفال على التسامح واحترام الآخرين- في الموقع الالكتروني https://www.diwanalarab.com/ فبراير ٢٠٠٥.

١١. سعدية العادلي: الشعب المحترم، قصة للأطفال، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، رسوم للفنان: محسن عبد الحفيظ، ٢٠١٧.

١٢. المصدر: من ويكيبيديا أنظر: https://ar.wikipedia.org/wiki

١٣. انظر الموقع الإلكتروني: https://www.marefa.org

١٤. https://www.dw.com/ar/

١٥. رابط المادة http://iswy.co/e١٦rmr

١٦. كانت بسبب إسلام فتاة قبطية في ٧ مايو ٢٠١١، فاختطفتها الكنيسة وطالب المسلمون بالإفراج عنها باعتبارها مسلمة، ورفضت الكنيسة تسليمها باعتبارها مرتدة عن دينهم، هكذا جاء الرد من السلفيين بالضرب في الكنيسة، وهو حادث عدواني مؤسف راح ضحيته كثير من الضحايا الأبرياء.

١٧. أحمد مختار عمر وآخرون: العربية المعاصرة، ١٤٢٩/٢٠٠٨.